تأليف السيوطي كتاب الأشباه والنظائر

في النحو بين التجديد والتقليد

الدكتور: بلخير شنين

جامعة قاصدي مرباح ورقلة الجزائر

الملخص:

ممّا لا شكّ فيه أنّ النحو العربي علم مفيد لتعلم اللغة العربية، ولا يستطيع المتعلم الاستغناء عنه لأنّه يعلّمه كيف يعصم لسانه من اللحن والخطأ في لغة القرآن الكريم، لهذا نجد علماء العربية يهتمون به ويؤلفون فيه، ومن هؤلاء العلماء جلال الدين السيوطي الذي ألف كتاب الأشباه والنظائر في النحو، هذا ما جعلني أبحث عن تأليفه لهذا الكتاب، وأقدم مقالاً بعنوان: تأليف السيوطي كتاب الأشباه والنظائر في النحو بين التجديد والتقليد، وأنطلق من تساؤلات مفادها: من هو هذا العالم الجليل؟ وكيف كانت حياته العلمية؟ وما هي أهم مؤلفاته التي خدم بها اللغة العربية؟ وكيف ألف كتابه الأشباه والنظائر في النحو؟ وهل كان مجدداً أم مقلداً في هذا التأليف؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات اتّبعت الخطة الآتية: بعد مدخل حول الموضوع نتحدث عن سيرة السيوطي، ثم نتكلم عن كتابه الأشباه والنظائر في النحو: التسمية وأسباب التأليف، ثم التطرق إلى منهجيته فيه، وعرض هذه المنهجية مدللا لها بأمثلة من كتابه هذا لنبيّن تجديده أو تقليده في هذا المؤلف، ثمّ يختم البحث بالنتائج المتوصل إليها.

Résumé:

Il ne fait aucun doute que la connaissance de la grammaire arabe est utile pour l'apprentissage de la langue arabe, et l'apprenant peut le faire sans lui parce qu'il sait comment IASM sa langue de la mélodie et l'erreur dans la langue du Coran, ce que nous trouvons les savants arabes se soucient et composent, et ces scientifiques Jalaluddin Suyuti, qui ont écrit un aime livre les isotopes de la manière, voici ce qui m'a fait la recherche de l'auteur de ce livre, je vous présente un article intitulé: un livre écrit par Suyuti dans les goûts des isotopes entre innovation et tradition, et partent des questions: qui est ce monde de Galilée? Comment était sa vie scientifique? Quels sont les plus importants de ses œuvres qu'il a servi la langue arabe? Comment un livre et les goûts des isotopes de la manière? Était-ce encore ou en imitant cette composition?

Pour répondre à ces questions, suivi le plan suivant: Après l'entrée sur le sujet que nous parlons de la biographie Suyuti, puis parler de ses goûts et isotopes de la manière: l'étiquette et les raisons de la création, puis répondre à la méthodologie, et la présentation

de cette méthodologie gâtée des exemples de ce livre pour montrer renouvelé ou l'imiter dans cet auteur, conclut ensuite les résultats de la recherche atteinte.

مدخل: أنّ اللغة العربية شرفها الله سبحانه وتعالى بنزول القرآن الكريم، وأعلى من شأنها فجعلها لغة عالمية تحمل الدين الإسلامي للإنسانية جمعاء، ومن أجل المحافظة على هذه الدرة الثمينة هبّ علماء العربية متحملين الصعاب وقاطعين الصحاري، فجمعوا ألفاظها وتراكيبها من أفواه أهلها الخلص، وانكبوا على بناء قواعدها، وبهذا نشأ ما يعرف بعلم النحو العربي الذي حظي باهتمام العلماء، فراحوا يطورونه بالتأليف فيه والتنافس على خدمة متعلمي اللغة العربية من أجل المحافظة على قراءة القرآن الكريم، فكثرت الكتب النحوية في كل العصور، وكانت معظمها تحافظ على الخطوط العريضة لتأليف القواعد النحوية منذ كتاب سيبويه تقدم قواعد اللغة العربية على شكل أبواب تبدأ بأقسام الكلام، ثمّ تتطرق إلى المرفوعات والمنصوبات والمجرورات وغيرها إلى أن جاء القرن التاسع الذي كتب فيه جلال الدين السيوطي كتاب الأشباه والنظائر في النحو فخالف من سبقوه في تأليف الكتب النحوية. ولكن قبل الحديث عن هذا الكتاب لا بدّ من التعريف عن مؤلِفه, فمن هو جلال الدين السيوطي؟

ترجمة جلال الدين السيوطي:

لقد كتب الكثير من أصحاب السيّر عن حيان السيوطي، لكننا نفضّل أن نأخذ ترجمته من عنده لأنه هو الأعرف بنفسه، فها هو يقول:« ترجمة مؤلف هذا الكتاب عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الخضريّ السيوطي»[1]، ولد سنة تسع وأربعين وثمانمئة للهجرة(849هـ)[2]، فنشأ يتيماً، وحفظ القرآن الكريم وعمره لا يتجاوز الثماني أعوام[3]، أخذ الفقه والنحو عن شيوخ بلدته، وأخذ الفرائض عن العلامة الشيخ شهاب الدين[4]. كما لازم الشيخ علم الدين البلقيني وولده حتى أخذ عنهما الفقه، ثمّ أكمل دراسة الفقه عند الشيخ شرف الدين المناوي، وأخذ الحديث والعربية عن العلامة تقي الدين الشبلي[5]، كما لازم الشيخ محي الدين الكافيجي وأخذ عنه التفسير والأصول والعربية والمعاني حتّى أجازه[6]. ولقد« رحل في سبيل العلم إلى الشام والحجاز واليمن والهند»[7].

العلوم التي امتلكها.

لقد ذكر لنا العلوم التي أجيز فيها فقال:« ورُزقت التبحّر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه والنحو، والمعاني والبيان، والبديع على طريقة العرب والبلغاء، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة »[8]. وبعد تبحره في عدة علوم تفرّغ للتدريس، فـ« درّس الطلاب في المدرستين الشيخونية والبيبرسية»[9]. ولقد ألف في علوم مختلفة، حيث « بلغت مصنفاته نحو ستمائة كتاب ورسالة بين مطوّل وموجز في الفقه والتفسير، والحديث، وتاريخ القرآن، والتاريخ، والنحو، وطبقات النحاة، والمفسرين، وفي فن اللغة وفقهها، وفي علوم البلاغة»[10]. ويقال إنّ أكثر كتبه تداولا، هي:« الأشباه والنظائر، وجمع الجوامع، وشرحه همع الهوامع، وشرح الكافية والشافية لابن الحاجب، والاقتراح في أصول النحو، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها، وحسن المحاضرة، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة»[11]. وبعد عمر زاخر بالعلم فارق الحياة، وكان ذلك في التاسع من جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمئة للهجرة(911هـ)[12]. بعد أن تعرّفنا عن السيوطي، سننقل إلى التعرّف عن كتابه محلّ الدراسة.

الأشباه والنظائر في النحو: اسم الكتاب:

لقد صرح السيوطي في مقدمة كتابه باسمه، فقال:« وألفتُ كتاب(الأشباه والنظائر) مرتباً على أسلوب آخر يُعرف من مراجعته»[13].

أسباب التأليف:

ذكر لنا أسباب تأليفه لهذا الكتاب، فقال:« واعلم أنّ السبب الحامل لي على تأليف ذلك الكتاب الأوّل: أنّي قصدتُ أن أسلك بالعربية سبيل الفقه فيما صنّفه المتأخرون فيه وألفوه من كتب الأشباه والنظائر»[14]. فالسيوطي يوضح بهذا القول بأنّه أراد أن يؤلف كتاباً في النحو يشبه كتب الفقه التي ألفت في عصره أو قبله، ويبيّن بأنّه اختار له نفس اسم تلك الكتب، وأشار إلى مؤلفيها، وذكر منهم: بدر الدين الزركشي، والشيخ الجويني، والقاضي تاج الدين السبكي، والإمام صدر الدين بن الوكيل، والإمام جمال الدين الإسنوي، والإمام سراج الدين بن الملقن[15]، كما صرح بالكتب التي نسج على منوالها كتابه، فقال:« وهذا الكتاب الذي شرعنا في تجديده في العربية يشبه كتاب القاضي تاج الدين في الفقه، فإنّه جامع لأكثر الأقسام، وصدره يشبه كتاب الزركشي من حيث إنّ قواعده مرتبة على حروف المعجم»[16]. فجلال الدين بهذا النصّ يوضح لنا:

منهجية تأليف كتاب الأشباه والنظائر في النحو:

فالكتاب يشبه كتب الفقه، فهو يماثل كتاب جمع الجوامع في أصول الفقه للسبكي، إذ يحمل أكثر أقسام ذلك الكتاب من حيث إنّ كلا منهما يحوي سبع فنون من المادة، فكتاب السبكي يحمل سبعة فنون من أصول الفقه[17]، ويشبه كتاب المنثور في قواعد فقه الشافعي للزركشي[18]، حيث إنّ صدر كتاب السيوطي مرتب على ترتيب حروف المعجم، كما أن كتاب الزركشي مرتب على حروف المعجم أيضاً.

أما إذا تحدثنا عن **مادة الكتاب** فإنّنا نجد صاحبه يذكرها لنا في مقدمته، فيقول:« وهذا الكتاب بحمد الله مشتمل على سبعة فنون: الأوّل: فن القواعد والأصول التي تُردّ إليها الجزئيات والفروع، وهو مرتّب على حروف المعجم، وهو معظم الكتاب ومهمه... الثاني: فن الضوابط والاستثناءات والتقسيمات، وهو مرتّب على الأبواب لاختصاص كل ضابط ببابه... الثالث: فن بناء المسائل بعضها على بعض... الرابع: فن الجمع والفرق. الخامس: فن الألغاز والأحاجي والمطارحات والممتحنات... السادس: فن المناظرات والمجالسات والمذاكرات والمراجعات والمحاورات والفتاوى والمواقعات والمراسلات والمكاتبات. السابع: فن الأفراد والغرائب»[19].

أما إذا تكلمنا عن كيفية تأليفه لهذا الكتاب، فنقول: إنّ السيوطي بدأ مؤلَفَه بمقدمة طويلة فصّل فيها كلّ ما جاء في كتابه، وصرح فيها بمخالفته للمؤلفات النحوية، حيث قال:« وكان ممّا سودت من ذلك كتاب ظريف، لم أسبق إلى مثله، وديوان منيف، لم يَنسج ناسِج على شكله، ضمّنته القواعد النحوية ذوات الأشباه والنظائر، وخرّجت عليها الفروع السائرة سير المثل السائر»[20]. وما يُفهم من هذا النص: أنّ جلال الدين يُقدّم للقارئ كتاباً في النحو لا يُشبه كتب النحو من حيث التأليف، وقد يشبه كتب الفقه، فهو يقول بأنّه لم أسبق إلى مثله، ولم يَنسج ناسِج على شكله من الذين سبقوه في التأليف النحوي، وهو بهذا القول: يُثبت بأنّه مجدد في هذا النوع من الكتب النحوية، أما عن تقديمه للمادة النحوية في هذا الكتاب، فهو يقسّم مادته على سبعة فنون ذكرناها عند الحديث عن مادة الكتاب، يستهلها بالحديث عن(فنّ القواعد والأصول

العامة)، ورتبها على حسب ترتيب حروف المعجم، وهذا في حدّ ذاته تجديد لأنّ كتب النحو تقسم حسب الأبواب النحوية المعروفة، فها هو يقول:« فن القواعد والأصول العامة، وهو الفنّ الأوّل من كتاب الأشباه والنظائر، ... وهو مسمى(بالمصاعد العلية في القواعد النحوية»[21]. ويبدأ هذا الفنّ بحرف الهمزة، قائلاً:« (الاتباع) هو أنواع: فمنه إتباع حركة آخر الكلمة المعربة لحركة أول الكلمة بعدها كقراءة من قرأ﴿ **الحَمْدِ لِلّهِ**﴾[22] بكسر الدال إتباعاً لكسر اللام»[23]، ويذكر أنواع الإتباع مفصّلاً لها، وذاكراً لأقوال النحاة فيها، ومستشهداً لها بالآيات القرآنية، والأبيات الشعرية، وذاكراً لبعض الفوائد فيه، منها قوله:« فائدة: قال: ابن إبان في(شرح الفصول) اعلم أنّ العرب قد أكثرت من الإتباع حتّى قد صار ذلك كأنه أصل يُقاس عليه، وإذا كانت قد زالت حركة الدال مع قوّتها للإتباع، وذلك ما حكاه الفراء من﴿ الحَمْدِ لِلّهِ﴾...»[24]، ويذكر في باب الهمزة: الاتساع، واجتماع الأمثال مكروه، والاختصار وغيرها من المسائل النحوية التي تبدأ بالهمزة، فعندما يصل إلى حرف السين بعد الهمزة، يقول:« الاسم أصل للفعل والحرف، قال الشلوبين: ولذلك جُعل فيه التنوين دونهما ليدلّ على أنّه أصل، وأنّهما فرعان...»[25]، وينهي باب الهمزة بالإيجاب، قائلاً:« الإيجاب أصل لغيره من النفي والنهي، والاستفهام، وغيرها، تقول: مثلاً: قام زيدٌ، ثمّ قول في النفي: ما قام زيدٌ...»[26]، ثمّ يتبعه بحرف الباء، ويستهله قائلاً:« باب الشرط مبناه على الإبهام، وباب الإضافة مبناه على التوضيح»[27]، ويُضيف إليه البدل فقط، فيقول:« قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس في التعليقة: الفرق بين البدل والعوض، أنّ العوض لا يحلّ محلّ المعوّض منه، والبدل إنّما يكون محلّ المبدل منه...»[28]. ثمّ يقدم سرد المسائل على حسب تسلسل حروف الهجاء، ويَختم هذا الفنّ بحرف الياء، قائلاً:« حرف الياء، يُغتفر في الثواني ما لا يُغتفر في الأوائل، ومثله قولهم: يُحتمل في التابع ما لا يُحتمل في المتبوع، من فروع ذلك ظهور أن مع المعطوف على منصوب حتّى، قوله:

حَتّى يَكونَ عَزيزاً في نُفوسهم أوْ أنْ يَبينَ جَميعاً وهو مختارُ

وإن كان لا يجوز ظهورها بعد حتّى لأنّ الثواني تحتمل ما لا تحتمل الأوائل»[29]. ولقد قدّم عدة مسائل نحوية بهذا الترتيب الكثير منها لا توجد في كتب النحو بهذا التقديم لأنّه لا يراعي أبواب النحو، ولكنّه يعتمد على الحرف الذي بدأت به، وهذا يدلّ على سعة حفظه، وبهذه الطريقة قدّم لنا كمّاً ضخماً من المسائل النحوية والصرفية، ومنه نستنتج أنّه جدد في التأليف النحوي.

أما منهجيته في الفنّ الثاني فهي كالآتي: فلقد بدأه بقوله:« الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا رسول الله. وبعد: هذا هو الفنّ الثاني من الأشباه والنظائر، وهو فنّ القواعد الخاصّة والضوابط والاستثناءات والتقسيمات، مرتّب على الأبواب وسميته(بالتدرّب)»[30]. وقدّم لنا معظم الأبواب النحوية والصرفية المذكورة في كتب النحو، وبدأه بقوله:« باب الألفاظ. تقسيم. ما خرج من الفم إنْ لم يشتمل على حرف فصوت، وإنْ اشتمل على حرف ولم يفد معنى فلفظ، وإن أفاد معنى فقول. فإن كان مفرداً فكلمة، أو مركباً من اثنين ولم يفد نسبة مقصودة لذاتها فجملة، أو أفاد ذلك فكلام، أو من ثلاثة فكلم»[31]. ثمّ ثنّاه بباب الكلمة، فباب الاسم، وغيره من أبواب النحو، أما أبواب الصرف، فنذكر منها: باب المقصور والممدود، وباب الجموع، وباب التصغير، وباب النسب، وباب الإدغام، وغيرها، كما ذكر فيه باب الكلام والجملة، والجمل التي لا محلّ لها من الإعراب، والجمل التي لها محل من الإعراب، وختم الفنّ الثاني بسرد مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، قائلاً:« حسب ما ذكره الكمال أبو البركات بن الأنباري في كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف، وأبو البقاء العكبري في كتاب التبيين في مسائل الخلاف بين البصريين الكوفيين»[32]. فالسيوطي في هذا الفنّ الذي سماه(التدرّب) كأنه

يريد أن يقول للقارئ: إنّ هذا الفنّ يدرّبك على النطق السليم بلغة العرب لأنّه يحمل القواعد التي يحتاجها متعلّم اللغة العربية، ولكنّه يسرد لنا المسائل سرداً دون توضيح بالأمثلة، أو شرح أو تحليل، ودون حتّى إعطاء رأيه فيها، فمثلاً يقول في باب الفعل:« علامات الفعل: جميع ما ذكره الناس من علامات الفعل بضع عشرة علامة، وهي: تاء الفاعل وياؤه، وتاء التأنيث الساكنة، وقد، والسين، وسوف، ولو، والنواصب، والجوازم وأحرف المضارعة، ونونا التوكيد، واتصاله بضمير الرفع البارز، ولزومه مع ياء المتكلم نون الوقاية، وتغيير صيغة لاختلاف الزمان»[33].وهو يُقدّم هذه المسائل يَستعمل ألفاظاً عديدة مثل: ضابط ، قاعدة ، فائدة ، وكأنّه ينبّه المتعلّم قبل أن يُقدّم المعلومة: بأنّ هذه قاعدة في القواعد العربية، أو هذه تضبط بها كلامك، أو هذه فائدة تُفيدك في كلامك بالعربية، فمثل قوله:« ضابط (الأمور التي لا يكون الفعل معها إلاّ قاصراً). قال ابن هشام: الأمور التي لا يكون الفعل معها إلاّ قاصراً عشرون: كونه على فَعُل بالضمّ كظَرُف وشَرُف، وسَمُع... أو على فَعَل بالفتح، أو فَعِل بالكسر ووصفهما على فعيل...أو على أفعل بمعنى صار ذا كذا نحو أغد البعير وأحصد الزرع إذا صارا ذوي غدة وحصاداً...»[34]. أما المثال عن القاعدة، قوله:« قاعدة. قال في المفصّل: لا ينادى ما فيه الألف واللام إلاّ الله وحده، لأنّهما لا يفارقانه...»[35]. وعندما يذكر فائدة، يقول:« فائدة. قال الأبذيّ في شرح الجزولية: لا يجوز عطف الضمير المنفصل على الظاهر بالواو، ويجوز فيما عدا ذلك»[36]. وهكذا في كل الفنّ الثاني.

أما الفنّ الثالث فقدّمه في عشرين صفحة بالضبط، بادئ إيّاه بمقدّمة كعادته في كل الكتاب، قائلاً:« الحمد لله على ما أنعم وألهم، وأوضح من دقائق الحقائق وفهم، وصلى الله على رسوله محمد وآله وصحبه وسلم. هذا هو الفنّ الثالث من الأشباه والنظائر، وهو فنّ بناء المسائل بعضها على بعض مرتب على الأبواب، وسميته(سلسلة الذهب في البناء من كلام العرب)»[37]. وافتتح الفنّ بباب الإعراب والبناء، فقال:« مسألة(فعل الأمر العاري من اللام وحرف المضارع) اُختلف في فعل الأمر العاري من اللام وحرف المضارعة نحو(اضربْ) على مذهبين: أحدهما أنّه مبني، وعليه البصريون، والثاني أنّه معرب مجزوم بلام محذوفة، وهو رأي الكوفيين»[38]. وينهي الفنّ الثالث بقوله:« مسألة...إذا نُكِّر يحيى بعد العلمية فهل يُكتب بالياء أو بالألف، لأنّه قد زالت علميته، قال أبو حيان: يُبنى على الخلاف في تعليل كتابة يحيى العلم بالياء، فإن عللناه بالعلمية كتبناه بالألف لأنّه قد زالت علميته، وإن عللنا بالفرق بين الاسم والفعل كتبناه بالياء، لأنّ الاسمية موجودة فيه»[39]. وعرض لنا في هذا الفنّ ثلاثة وعشرين باباً بين نحوية وصرفية، منها باب المنصرف وغير المنصرف، وباب العلم، وباب الموصول، وباب المبتدأ والخبر، وكان أخواتها، وغيرها من الأبواب النحوية، كما ذكر من أبواب الصرف: باب التكسير، وباب التصغير، وباب الوقف. ويعرض لنا كل الأبواب بكلمة(مسألة)، ثمّ يذكر ما جاء في هذا الباب، مثل قوله:« باب التصغير. مسألة(الاختلاف في تصغير بعض الأسماء) اُختلف في تصغير رَكْب وطَيْر وصَحْب وسَفْر على قولين: أحدهما: وعليه الجمهور أنّها تُصغّر على لفظها، فيقال: رُكَيِّبٌ، وطُيِّرٌ، وصُحَيِّبٌ، وسُفَيِّر. والثاني: وعليه الأخفش أنّها تُردُّ إلى المفرد فيقال: رُوَيْكبونَ وطُوَيْرات،...والخلاف مبني على الخلاف في هذه الألفاظ، ماهي؟ وفيها قولان: أحدهما، وعليه الجمهور: أنّها أسماء جموع، وعلى هذا فتعطي حكم المفرد في التصغير على لفظها. الثاني: وعليه الأخفش: أنّها جموع تكسير، وعلى هذا فتُردّ إلى مفرداتها، أشار إلى هذا البناء أبو حيان»[40]. ولقد ذكر في هذا الفنّ الكثير من المسائل التي اختلف فيها النحاة إما نحاة البصرة ونحاة الكوفة، وإما بين نحاة المدرسة الواحدة، ولهذا سماه(في بناء المسائل)، وكأنّه يريد أن يقول: هذه هي أقوال النحاة في بناء بعض المسائل النحوية.

أما الفنّ الرابع فبدأه كذلك بمقدمة قال فيها:« بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي أوجد الخلق، وجعل لكل شيء مظهرين من الجمع والفرق، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي سناه أضوأ من البرق. هذا هو الفنّ الرابع من الأشباه

والنظائر، وهو فنّ الجمع والفرق، وهو قسمان: أحدهما: الأبواب المتشابهة المفترقة في كثير من الأحكام. والثاني: المسائل المتشابهة المفترقة في الحكم والعلة، وسميّته: اللمع والبرق في الجمع والفرق»[41]. وبعد هذه المقدمة التي يبيّن فيها منهجيته ومادة هذا الفنّ، فإنّ استهله بالقسم الأوّل:« ذكر ما افترق فيه الكلام والجملة. قال ابن هشام في المغني: الكلام أخصّ من الجملة لا مرادف لها. فإنّ الكلام هو القول المفيد بالمقصد، والمراد بالمفيد ما دلّ على معنى يحسن السكوت عليه، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله، كقام زيد، والمبتدأ وخبره، كزيد قائم، وما كان بمنزلة أحدهما...»[42]. ويتبعه بالفرق بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى، وينهي القسم الأوّل من هذا الفن بذكر ما افترق فيه التكسير والتصغير، وقال فيه:« قال في البسيط: افترقا في أنّ بناء التصغير لا يختلف كاختلاف أبنية الجمع، وفي أنّ الأجود أن يقال في تصغير أسود وأعور وقسور وجدول: أُسَيِّد وأُعَيِّر وقُسَيِّر وجُدَيِّل بالإدغام، ولا يجوز ذلك في التكسير، ويقال في مقام ومقال: مُقيِّم ومُقيِّم بالإدغام،... لأنّه لا يلزم من مشابهة الشيء للشيء أن يشابهه من جميع الوجوه»[43]. ويذكر فيه بعض الأبواب النحوية والصرفية التي تشابهت من جهة، وافترقت من جهة أخرى، مثل قوله:« ما افترق فيه: كأيّنْ وكذا. قال ابن هشام: توافق كذا كأيّن في أربعة أمور: التركيب، والبناء، والإبهام، والافتقار إلى التمييز. وتخالفها في ثلاثة أمور: أحدها أنها ليس لها الصدر. الثاني أنّ تمييزها واجب النصب. الثالث أنّها لا تُستعمل غالباً إلاّ معطوفاً عليها»[44]. قال في باب آخر:« ما افترق فيه الحال والتمييز. قال ابن هشام في(المغني): اعلم أنهما اجتمعا في خمسة أمور وافترقا في سبعة. فأوجه الاتفاق أنّهما اسمان نكرتان فضلتان منصوبان رافعان للإبهام. وأما أوجه الافتراق: فأحدها: أنّ الحال تكون جملة وظرفاً وجاراً ومجروراً، والتمييز لا يكون إلاّ اسماً... السابع: أنّ الحال تكون مؤكدة لعاملها، ولا يقع التمييز كذلك»[45]. رغم أنه ذكر في مقدمة هذا الفن أنّ القسم الأوّل أبواب إلاّ أنه لم يذكر لنا هذه الكلمة. وبدأ القسم الثاني بباب الإعراب والبناء رغم أنه ذكر في المقدمة كلمة مسائل، ولكنّ يبدأ الباب بكلمة مسألة، مثل حديثه عن الباب الأول قال:« مسألة. يكفي في بناء الاسم شبهه بالحرف من وجه واحد اتفاقاً، ولا يكفي في منع الصرف مشابهته للفعل من وجه واحد اتفاقاً بل لا بدّ من مشابهته له من وجهين»[46]. وينهيه بباب التصريف، قائلاً:« مسألة. الزائد يوزن بلفظة وزيادة التضعيف توزن بالأصل. قال أبو حيان: والفرق أن زيادة التضعيف مخالفة لزيادة حروف سألتمونيها من حيث إنّها عامة لجميع الحروف ففرقوا بينهما بالوزن وجعلوا حكم المضاعف...»[47]. ويعرض علينا في القسم الثاني من هذا الفنّ ثمانية وعشرين باباً، ويسرد في كل باب مجموعة من المسائل تختلف من باب لآخر، فقد نجد في باب مسألة واحدة مثل باب الإشارة ذكر فيه مسألة: الإشارة للبعيد فقط[48]. ونجده في باب النعت يسرد أربع مسائل، وهي، مسألة:(يُشترط في الجملة الموصوف بها أن تكون خبرية)، مسألة:(لا يجوز الفصل بين الصفة والموصوف)، ومسألة:(تثنية الصفة الرافعة للظاهر وجمعها)، ومسألة:(لِمَ حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامة ولم يصح ذلك في الموصوف)[49]. وهكذا يقدم للقارئ مسائل الفنّ الرابع بقسميه، ولكنّه في أغلب المسائل يذكر آراء النحاة دون أن يبيّن رأيه، أو حتى يرجح رأياً.

أما إذا تكلمنا عن الفنّ الخامس فإنّنا نجد السيوطي يبدأه هو الآخر بمقدمة يبين فيها منهجيته في هذا الفنّ، قائلاً:« الحمد لموليه، والصلاة والسلام على نبيّه محمد وآله وذويه. هذا هو الفنّ الخامس من الأشباه والنظائر، وهو فنّ الألغاز والأحاجي والمطارحات والممتحنات والمعاياة.وهو منثور غير مرتب، وسميته الطراز في الألغاز»[50]. واستهل هذا الفنّ بلغز نحوي، قال فيه:« قال الشيخ جمال الدين بن هشام في كتابه(موقظ الوسنان وموقد الأذهان): اعلم أنّ اللغز النحوي قسمان: أحدهما ما يُطلب به تفسير المعنى، والآخر ما يطلب به وجه الإعراب. فالأول كقول الحريري: وما العامل الذي يتصل آخره بأوله، ويعمل معكوسه، مثل عمله؟ وتفسيره(ما) في النداء، فإنّه عامل النصب في المنادى، وهو حرفان، فآخره

متصل بأوله ومعكوسه وهو(أيْ) حرف نداء أيضاً... والثاني: وهو الذي يُطلب فيه تفسير الإعراب وتوجيهه، لا يبان المعنى كقوله الشاعر:

جاءك سلمانَ أبوها شِما فقدْ غدا سيِّدها الحارثُ ...»[51]. ويسرد في هذا الفنّ ألغاز الحريري التي ذكرها في مقاماته، ثمّ أحاجي الزمخشري، وأحاجي السخاوي، ثمّ شذرات من ألغاز النحاة، ثمّ ألغاز السيوطي، ثم ألغاز الشيخ عز الدين بن عبد السلام، ثم ذكر طائفة أخرى من الألغاز مثل ألغاز ابن لُب النحوي الأندلسي، وغيرها من الألغاز النحوية[52]. ولم يقدّم في هذا الفنّ إلاّ الألغاز النحوية، والأحاجي ولم يذكر لنا أيّة ممتحنات ولا مطارحات ولا معاياة، ولقد خَتم هذا الفن بلغز قائلاً:« لغز في مَنْ الاستفهامية:

ما ذُو بِناءٍ مَعْ تَصدَّرٍ أَتى حالاه في ذَيْنِ مخالفان

يعني حكاية يونس من قول بعض الضرب: (ضَرَب مَنّ منا) لمن قال: ضرب رجلٌ رَجلاً، فهو سأل عن الضارب وعن المضروب مَنْ هما؟ فأخرج مَنْ الاستفهامية عن بنائها، وعن صدريَّتِها الواجبة لها...»[53]. وكانت هذه الألغاز والأحاجي منثورة دون ترتيب بمنهجية معينة كما ذكر المؤلف ذلك في مقدمة الفنّ، وكان يُقدّم اللغز وجوابه في كلّ الفن.

أما الفنّ السادس فرغم أن السيوطي ذكر في مقدمته بأنّه فنّ الناظرات والمجالسات، والسابع فن الإفراد والغرائب، ولكنّه أثناء التقديم جعل الفنّ السادس هو فن الإفراد والغريب، وتصدّره كعادته بمقدمة موجزة، فقال:« الحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الذي كملت محاسنه باطناً وظاهراً. هذا هو الفنّ السادس من الأشباه والنظائر، وهو فن:(الإفراد والغرائب)»[54]. وبدأه بباب الكلمة والكلام، قائلاً:« قال الشيخ جمال الدين بن هشام في(شرح اللّمحة) أجمعوا– إلاّ من لا يُعتدّ بخلافه– على انحصار أقسام الكلمة في ثلاثة: الاسم، والفعل، والحرف. وقال أبو حيان: زاد أبو جعفر بن صابر قسماً رابعاً سماه(الخالفة) وهو اسم الفعل»[55]. وذكر في هذا الفنّ اثنين وعشرين باباً من أبواب النحو والصرف، مثل باب الإعراب، وباب الإشارة، وباب الابتداء، وغيرها من السائل النحوية، ونذكر من أبواب الصرف: باب المفاعيل، وباب المصدر، وباب جمع التكسير، وباب التصغير، وباب النسب، ولكنّه يقدّمها باختصار، فباب الابتداء مثلا قدمّها في صفحة واحدة فقط، قال فيه:« قال أبو الحسين بن أبي الربيع في(شرح الإيضاح): لا أعلم خلافاً بين النحويين أنّ ظرف الزمان لا يكون خبراً عن الجثث، وظرف المكان يكون خبراً عن الجثث، والمصدر، إلاّ أنّ ابن الطراوة ردّ على جميع النحويين في هذا، وقال: هما سواء يكونان خبرين عن الجثث والمصادر. وقال ابن هشام: في شرح ابن يعيش الظرف الواقع خبراً صرّح ابن جنّي بجواز إظهاره. وعندي أنّه إذا حذف ونقل ضميره إلى الظرف لم يجز إظهاره، لأنّه قد صار أصلاً مرفوضاً، فأما إنْ ذكرته أولاً فقلت: زيد استقرّ عندك فلا يمنع منه مانع، انتهى. قال ابن هشام: وهو غريب»[56]. كما قدم بعض الأبواب في ثلاثة أسطر أو أقلّ، مثل باب إنّ، قال فيها:« قال ابن مالك في(شرح التسهيل): إنْ كان يعني ما بعد(إنْ) المخففة مضارعاً حفظ، ولم يقس عليه نحو:﴿ **وإنْ يَكادُ الذّينَ كَفَروا لَيُزْلِقونَكَ**﴾، و﴿ **وإنْ نَظُنُّكَ لَمِنْ الكاذِبينَ**﴾، قال أبو حيان: هذا ليس بصحيح ولا نعلم له موافقاً»[57]. وكذلك الأمر مع الأبواب الصرفية حيث قدّمها باختصار ولم يتجاوز الأربعة أسطر في معظم الأبواب، ولم يُدْلِ فيها برأيه في أيّ مسألة من مسائل الفنّ السادس، وقدّمها كاملة في حوالي أربع وعشرين صفحة فقط[58].

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن الفن السابع في الكتاب السادس في المقدمة، فإنّه قدّمه كعادته بمقدّمة قال فيها:« الحمد لله الذي جلَّ عن المعارضة والمناظرة، والصلاة والسلام على نبيّه محمد المبعوث بالحجج الدامغة القاهرة. هذا هو الفنّ السابع، من الأشباه والنظائر، وهو(فنّ المناظرات والمجالسات، والمذاكرات، والمراجعات، والمحاورات، والفتاوى والمواقعات، والمكاتبات، والمراسلات»[59]. وبدأ الفنّ السابع والأخير بمناظرة سيبويه والكسائي في المسألة الزنبورية، وقدّمها في أربع صفحات[60]. وأتبعها بمجلس الخليل مع سيبويه، وقال فيها:« قال: سُئِل الخليل بن أحمد عن قول الله عزّ وجلّ:﴿ **ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا**﴾، فقال: هذا على الحكاية كأنّه قال: ثم لننزعن من كلّ شيعة الذي يقال: أيّهم هو أشدّ عتيّا، فقال سيبويه: هذا غلط، وألزمه أن يُجيز لأضربن الفاسقُ الخبيثُ بالرفع على تقدير: لأضربن الذي يقال له: هو الفاسق الخبيثُ، وهذا لا يُجيزه أحد...»[61]. وأنهى الجزء الأوّل من الفن السابع بمجلس الزجاجي مع أبي بكر بن الأنباري[62]. ولم يقدم في هذا الجزء المذاكرات ولا المراجعات ولا المحاورات، وغيرها ممّا جاء في مقدمة هذا الفنّ، ولكنّه عرض لنا في الفن مسائل نحوية رغم أنه لم يذكرها في مقدمته، وألحقنا بعد المجلس الأخير فقال:« الفنّ السابع: مسائل نحوية. إحدى عشرة مسألة في النحو»[63]. وجاء في بدايتها:« هذه إحدى عشرة مسألة سأل عنها أبو بكر الشيباني، أبا القاسم الزجاجي في كتابه أنفذه إليه من طبرية إلى دمشق، فكتب إليه في الجواب»[64]. وذكر العديد من السائل النحوية، وختمها بمسألة، فقال فيها:« كشف الغُمّة عن الصِّمّة لمؤلف الكتاب الجلال السيوطي– عفا الله تعالى عنه– آمين. بسم الله الرحمن الرحيم. سأل سائل عن الصِّمّة في أبي جَهْم بن الحارث: أنّ الصِّمّة، هل يُقرأ مجروراً بالكسرة أو بالفتحة؟ وذكر أنّه غير منصرف. فقال له: الألف واللام توجب جرّ غير المنصرف بالكسرة...»[65]. واختلفت المسائل المقدمة في هذا الفنّ بين مسائل نحوية وصرفية.

خاتمة:

بعد هذه الدراسة يمكن أن نجمل القول في تأليف السيوطي لكتاب الأشباه والنظائر في النحو، ونقول: إن جلال الدين السيوطي بتأليفه هذا الكتاب قد جدّد في التأليف النحوي، حيث أنّه خالف الكتب النحوية التي سبقته بمنهجيته التي أراد بها أن يشابه الكتب الفقهية في التأليف، ولكنّ هذا التجديد لم يكن إبداعاً خالصاً لأنّه قلد الفقهاء في تأليفهم، وبهذا يكون بين التجديد والتقليد، فهو جدد في الكتب النحوية وقلد الكتب الفقهية، وبهذا التأليف قدم لنا كمّاً هائلاً من المسائل النحوية في جميع الأبواب، فهو جمع فيه معظم ما قاله النحاة من مسائل مختلفة نحوية وصرفية، وألغاز وأحاجي نحوية ومناظرات ومجالسات قام بها النحاة، وغيرها، وكأن مؤلفه هذا موسوعة للدراسات النحوية، ولكن هذا الجمع والسرد أوصله إلى تكرار الكثير من الأبواب النحوية والصرفية، حيث نجده يكرر المسألة الواحدة في أغلب الفنون السبعة التي قدمها.

الإحالات:

1 – جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة،تحيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، سنة 1387هـ– 1967م، ج1، ص335.

[2] – ينظر نفسه، ج1، ص336.

[3] – ينظر نفسه، ج1، ص336.

[4] – ينظر نفسه، ج1، ص336.

[5] – ينظر نفسه، ج1، ص337.

[6] – ينظر نفسه، ج1، ص338.

[7] – إبراهيم عبود السامرائي، المدارس النحوية، دار المسيرة، عمان الأردن، ط1، سنة 1427هـ– 2007م، ص229.

[8] – جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، ج1، ص338.

[9] – إبراهيم عبود السامرائي، المدارس النحوية ، ص229.

[10] – نفسه، ص229.

[11] – نفسه، ص229.

[12] – ينظر إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين ، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان،ط1، سنة 1951م، ج1، ص534.

[13] – جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، سنة 1406هـ– 1985م، ج1، ص8.

[14] – نفسه، ج1، ص6.

[15] – ينظر المرجع نفسه، ج1، ص6–8.

[16] – نفسه، ج1، ص9.

[17] – ينظر تاج الدين السبكي، جمع الجوامع في أصول الفقه، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، سنة 1424هـ– 2003م، فهرس المحتويات، ص138–142

[18] – ينظر بدر الدين الزركشي، المنثور في القواعد فقه الشافعي، تحقيق محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، سنة 1421هـ– 2000م.

[19] – جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو ، ج1، ص10–11.

[20] – نفسه، ج1، ص5.

[21] – نفسه، ج1، ص17.

[22] – سورة الفاتحة، الآية 01.

[23] – جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو ، ج1،ص17.

[24] – نفسه، ج1، ص27– 28.

[25] – جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق فائز ترحيني، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط3، سنة 1417هـ– 1996م، ج1، ص79.

[26] – نفسه، ج1، ص120.

[27] – نفسه، ج1، ص121.

[28] – نفسه، ج1، ص121.

[29] – نفسه، ج1، ص 390.

[30] – نفسه، ج2، ص5.

[31] – نفسه، ج2، ص7.

[32] – نفسه، ج2، ص 170.

[33] – نفسه، ج2، ص15.

[34] – جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق غازي مختار طليمات، مطبوعات مجمع اللغة العربية، بدمشق، د، ط، ج2، ص172– 173.

[35] – نفسه، ج2، ص249.

[36] – نفسه، ج2، ص239.

[37] – جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق فائز ترحيني، ج2، ص179.

[38] – نفسه، ج2، ص 181.

[39] – نفسه، ج2، ص201.

[40] – نفسه، ج2، ص200.

[41] – جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق غازي مختار طليمات، ج2، ص390.

[42] – نفسه، ج2، ص391.

[43] – نفسه، ج2، ص525– 526.

[44] – نفسه، ج2، ص 522.

[45] – جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق فائز ترحيني، ج2، 231– 232.

[46] – نفسه، ج2، ص277.

[47] – نفسه، ج2، ص309.

[48] – ينظر نفسه، ج2، ص281– 282.

[49] – ينظر نفسه، ج2، ص291– 293.

[50] – جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق غازي مختار طليمات، ج2، ص587.

[51] – نفسه، ج2، ص587– 589.

[52] – ينظر جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق عبد العال سالم مكرم، ج4، ص184– 314.

[53] – نفسه، ج4، ص314.

[54] – نفسه، ج5، ص5.

[55] – نفسه، ج5، ص5.

[56] – نفسه، ج5، ص10.

[57] – نفسه، ج5، ص12. وسورة القلم، الآية51، وتمامها :﴿ بِأَبْصارِهِمْ لَمّا سَمِعوا الذِّكْرَ وَيَقولونَ إِنَّهُ لَمَجْنونٌ﴾، وسورة الشعراء، الآية 186.

[58] – ينظر نفسه، ج5، 29.

[59] – نفسه ، ج5، ص31.

[60] – ينظر نفسه، ج5، ص31– 34.

[61] – نفسه، ج5، ص35. وسورة مريم، الآية69.

[62] – نفسه، ج5، ص109.

[63] – نفسه، ج5، ص 113.

[64] – نفسه، ج5، ص113.

[65] – نفسه، ج8، ص305.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص.

1 –إبراهيم عبود السامرائي، المدارس النحوية، دار المسيرة، عمان الأردن، ط1، سنة 1427هـ– 2007م.
2 –إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين ، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان،ط1، سنة 1951م.
3 –بدر الدين الزركشي، المنثور في القواعد فقه الشافعي، تحقيق محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، سنة 1421هـ– 2000م.
4 –تاج الدين السبكي، جمع الجوامع في أصول الفقه، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، سنة 1424هـ– 2003م.
5 –جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، سنة 1406هـ– 1985م.
6 –جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق فائز ترحيني، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط3، سنة 1417هـ– 1996م.
7 –جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة،تحيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، سنة 1387هـ– 1967م.